٣

فقيدنا وآثاره

وهذه المحاضرة التي القاها الاستاذ السيد عيسى اسكندر المعلوف في الفقيد وآثاره نقتطف منها ما يحتمله المقام. قال بعد ان تلا ابياتاً لبعضهم في رثاء ابي الطيب المتنبي وجهها الى الفقيد آسفاً مترحماً :

العرب والافرنج والآثار المصرية

وصف قدماء المؤرخين آثار مصر ومنهم العرب ولكنهم لم يفهموا سرّ القلم الهيروغليفي (الكتابة المقدسة) ومن اشهر من وصف تلك الآثار من العرب المسعودي في (مروج الذهب) المطبوع وفي (اخبار الزمان) المخطوط النادر والقضاعي في (الخطط والاخبار) وعنه اخذ المقريزي في خططه التي وصف بها مصر احسن وصف واجاد بعده عبدالقادر البغدادي في (الافادة والاعتبار) . ثم ابن وصيف شاه في (جواهر البحور) وعنه اخذ المقريزي ايضاً في خططه وابن عبد الرحيم في (تحفة الالباب) وغيرهم . وسموا الكتابات المصرية بالقلم المجهول او البربائي او الهرمسي . فلما جاء نابوليون بونابرت بجيشه وفتح مصر وجد جنده حجر رشيد الشهير باللغات الثلاث فأعلاه كتب بالهيروغليفية وهي قلم الدين كالنسخي عندنا ووسطه بالديموتيكية وهي قلم الكهنة كالديواني في عهدنا وما تحتهما باليونانية المعروفة . فحل شمبوليون الفرنسي الكتابة بمعارضتها (١) . ونشأ من قراءة الكتابات القديمة علم فن الآثار المصرية Egyptologie فاعتنى به العلماء وكثر اختلافهم الى القطر المصري للوقوف على عجائبه النفيسة وكان اهم من اشتهر بذلك في مصر مار بيت باشا مؤسس متحف بولاق ووكيله الدكتور هنري بُروغش ثم ماسبرو ومن جاء بعدهم من علماء اوربة واميركة ممن لهم مباحث ومؤلفات في مصر ومكتشفاتها . ومن اهم ما انشئ في مصر لآثارها مدرسة اللسان المصري القديم سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) وكان مديرها بُروغش المذكور فاقفلت بعد بضع عشرة سنة وجددها ماسبرو ثم اقفلت

(١) راجع مجلة المجمع هذه (٢ : ٣٥٧)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى أجل غير مسمى . فتخرج في هذه المدرسة المحتفل به فقيدنا المرحوم ونخبة من شبان مصر فلم يشتغل منهم بالآثار غيره وغير احمد بك نجيب الذي صار مفتشاً لدار الآثار المصرية . ولكن بعض طلبة الفقيد اشتغلوا بالآثار وهم من موظفي دار التحف الى الآن وقد اشتهروا بمؤلفاتهم ومعرباتهم ومباحثهم

نشأة الفقيد وسيرته

هو المرحوم احمد بن حسن بن احمد . كان والده حسن احمد من جزيرة كريت (من اسرة حكم بعض اسلافها مقاطعة هرقلية فيها) فجاء مصر وتديرها فولد له المحتفل به في القاهرة في ٢٩ شعبان سنة ١٢٦٧ هـ فاعتنى ابوه بتعليمه فادخله مدرسة المبتديان بالعباسية وهو في الثالثة عشرة من عمره فبقي فيها اربع سنوات وانتقل سنة ١٢٨٤ الى المدرسة التجهيزية فصرف فيها سنتين فحصل ما تفوق به على اقرانه بذكائه واجتهاده وسنة ١٢٨٦ دخل مدرسة اللسان المصري القديم فانكبّ على درس المصرية القديمة على استاذه بروغش باشا المذكور فتضلع منها ومن غيرها وتوسم فيه اساتذته الفلاح باللغات والآثار . فأتم علومه وحذق اللغات العربية والفرنسية والالمانية والقبطية والحبشية فلقب باسم (كمال) لآدابه وتفوقه فصار علماً له ولمن بعده . ولما ذاق لذة علم الآثار وشاهد ما في دور التحف وما يظهر في الحفريات منها ازداد رغبةً فيه ومارس العمل ورافق كبار اساتذة العاديات والبعثات الحفرية . ونزعت نفسه الى ان يقلّد عملاً في المتحف الوطني فلم يفلح لاسباب

فاقتصر على ما وُكل اليه من الاعمال ولم ينفك عن استعمال ميله ومجاراة لذته بذلك الفن الحديث ومطالعة مجلاته ومؤلفاته ومشاهدة غرائبه مما هو عقيم في نظرنا مولّد عند غيرنا على جلالة شأنه والاعتماد عليه في تصحيح التواريخ وتحقيق الحوادث، لهذا افضتُ في فائدته بمحاضرة سالفة لي في هذا المقام عنوانها (كيف تحقق الآثار التاريخ)

فصرف رصيفنا حياته الطيبة بين درس وتدريس وتحبير وتحرير وتأليف وتعريب وتنقيب وتجوّل واستشراف الحفريات الأثرية وزيارة المتاحف الاوربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاختلاف الى المتاحف المصرية وعادياتها النفيسة يراجع ويصحح ويستنسخ ويستنطق تواريخها وشؤونها ويدوّن ذلك في مقالات ومحاضرات وكتب بجلّد وثبات وتمهيد العوائق وإعراض عن الحُسّاد

وكان همه في آخر حياته ثلاثة مشاريع مفيدة لبلاده التي افنى حياته بخدمتها ودرس آثار اسلافها (اولها) تجديد مدرسة اللغات القديمة لتكثير سواد الاثريين الوطنيين خدمة لمتاحفهم وتواريخهم . و (الثاني) تعميم المدارس والمتاحف ودور الكتب في انحاء القطر افادة لجميع طبقات المصريين و (الثالث) طبع معجمه الكبير في المقارنة بين اللغتين المصرية والعربية وما فيهما من الموافقات واسرار الاشتقاق

فظفر بامنيته قبيل وفاته بمساعدة وزارة المعارف فكافأته الحكومة بترقية رتبته وقررت تخصيص مبلغ من المال للمدرسة وللمعجم وبدأت المديريات تسعى بتحريضاته لتأسيس المدارس ودور الكتب والتحف في انحائها . فما كاد يغتبط بهذا النجاح بعد مطال طويل ومعاكسات كثيرة حتى وافته منيتهُ فجأة في الساعة العاشرة من مساء الاحد في ٥ آب الماضي في منزله بشارع جزيرة بدران واحتفل بدفنه ثاني يوم الاثنين عند الساعة الرابعة بعد الظهر بموكب حافل بكبار رجال الحكومة والعلماء والاعيان في مدفن اسرته بقرافة جلال الدين السيوطي وقد بكاهُ عارفو فضله والمستفيدون من آثاره بكاء آله رحمهُ الله

على اننا لا نخال وزارة المعارف الجليلة مهملة ما قررته من الانشاآت المذكورة خدمة للفقيد بعد موته وان حرمها في حياته . ولقد كتب اليّ احد كبار الاصدقاء من مصر ان اصحاب المقتطف ينوون طبع المعجم على الحجر اذا احجمت المعارف عن طبعه كما وعدت وهي خدمة كبيرة للعربية والآثار تخلد لهم اطيب ذكر

اعماله ورتبه ومنزلته العلمية واخلاقهُ

كان رفيع المكانة في عيون من شدا شيئاً من الحضارة المصرية او عرف ذروةً من المباحث اللغوية القديمة ولا سيما معارضة اللغات . وعلى الاخص من ألف في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مثل هذه الموضوعات الشاقة . فاستشهد كثير من مؤلفي الافرنج والعرب وباحثيهم بكتبه واقواله وعجبوا من جلده وتنقيبه

واهم الاعمال التي مارسها وظيفة معاون ومترجم فرنسي في نظارة المعارف . ومدرّس اللغة الالمانية في المدارس الاميرية بمصر والاسكندرية . ومترجم فرنسي بمصلحة البواخر البريدية وديوان الحربية . وكاتب فرنسي في ادارة الماكس (الكمارك) العامة . ومترجم ظهورات بنظارة المالية

ولما تولّى رياض باشا رئاسة مجلس النظار وضعه في المتحف كاتم اسرار ومترجماً واستاذاً للغات القديمة . ثم صار بعد ذلك امين المتحف المصري ومساعداً فيه . ثم اعتزل العمل وبقيت له امانته شرفاً الى وفاته

وكان عضواً في كل من المجمع العلمي المصري . والجمعية الجغرافية . ومجلس المعارف المصري . وجمعية الرابطة الشرقية . ومجمعنا الدمشقي . واستاذاً للحضارة القديمة في الجامعة المصرية . ومدرّساً للحلقات العليا في مدرسة اللغات القديمة — التي سعى بانشائها اخيراً فوقفت بوفاته لعدم وجود وطنيّ مثله كفء لتدريس اللغات القديمة — فقام بكل ما وكل اليه من الاعمال احسن قيام

وطاف في اوربة وزار دور التحف فيها وحضر بعض المؤتمرات الاثرية وآخر رحلاته سفرهُ الى باريس في صيف السنة الماضية لشهود الاحتفال بالعيد المئوي لشمبوليون

فنال من الأوسمة العثماني الثالث والرابع والمجيدي الثالث . ونوط (مدالية) المجمع العلمي المصري والرتبة الثانية المتمايزة مع لقب بك وقبيل وفاته نال رتبة ميرميران

اما اخلاقه فكان رحمهُ الله عليه مثال الجدّ والصدق والحزم والروية والاقدام والجلد والثبات والقناعة . قليل الكلام كثير البحث عن الحقائق والاسانيد صالحاً محافظاً على مذهبه محسناً تربية اسرته ومخلصاً في خدمة وطنه ومنقطعاً الى ابحاثه ومحققاً في ما يكتبه ويؤلفه . نزوعاً الى توسيع دائرة العلوم الاثرية في قطر هو مبعث الآثار ومصدر العاديات لئلا يُعَدّ الوطنيون مقصّرين في معرفة ما تركه لهم اسلافهم من البدائع فتحط منزلتهم في عيون عارفيهم فصرف حياته محرضاً الحكومة واصدقاءهُ وانسباءهُ على اتقان ذلك فبرع فيها كثيرون منهم اخصهم ولده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدكتور حسن بك مؤلف كتاب الطب المصري القديم وغيره وابن شقيقته محمد بك شعبان ونسيبه محمود افندي حمزه وهما الامينان بالمتحف المصري

خدمته للآثار القديمة

كان يخدمها بمؤلفاته ومقالاته ومباحثه الى ان عين كما مرّ في المتحف المصري ومشارفة الحفريات فتخرج على يده كثير من الذين نبغوا بهذا الفن لانه سعى سنة ١٩١٠ م لدى صاحب المعالي احمد حشمة باشا وزير المعارف بتأسيس مدرسة لتعليم اللسان المصري القديم فرخص له بذلك فانتخب سبعة من نوابغ الطلبة في مدرسة المعلمين العليا فدرسوا عليه وخدموا الآثار وبينهم ولده الدكتور حسن بك . وكذلك سنة ١٩١٣ درس عليه ستة آخرون من طلبتها وبعضهم درس عليه في بيته بعد الغائها . وسنة ١٩٢١ سعى لدى جلالة الملك فؤاد الاول لتخصيص ثلاثة من المصريين لدرس هذا الفن في المتحف تخرجاً وتمريناً فبعد ان تلقوا تلك الدروس مدة انتقلوا الى اوربة لاتمامها . وسنة ١٩٢٣ استأنف سعيه في تجديد مدرسة علم اللغات القديمة وهي الهيروغليفية والهيراتية والديموتيكية والقبطية والعبرية واليونانية واللاتينية فقبلت وزارة المعارف اقتراحهُ واختارته ليدرّس اللغة المصرية والآثار فاعجلته المنون عن ذلك ولقد اجرى حفريات في بعض انحاء القطر ولاسيما في الوجهين القبلي والبحري وانشأ دور التحف في طنطا والمنيا واسيوط . وقرّر كثيراً من الآراء بشأن الآثار المكتشفة (١) مثل اسم الريّان بن الوليد فرعون مصر الذي كان في ايام يوسف الصديق فانه قرأ اسمه في آثار تل بسطة (نراوس) فخالفه بعض الاثريين ثم وافقه آخرون بعد ان وجدوا الاسم يقرب من هذا واستشهد المترجم بخطط المقريزي القائلة : ان اسم الريان في لفظ القبط هو (نزاوس) . وله مقالات كثيرة اثرية وآراء في وصف

(١) راجع كتاب (اصداء التوراة) صفحة ١٢٠ والمقتطف ١٤ : ٣٠٦ و١٧ : ٥٦٣ و (الأثر الجليل) لاحمد بك نجيب المصري في مصلحة الآثار المصرية ص ١٥٢ و٢٦٦ و ٢٨٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جزيرة اصوان (١) والمطرية (٢) وآثار دهشور (٣) والفنون والصناعات المصرية القديمة (٤) ومقالة في توت عنخ امون وتاريخه (٥) وغيرها . وصرّح بمعارفه الواسعة وانشائه للمتاحف وغيرها كثير من الاثريين منهم مسبرو مدير مصلحة الآثار المصرية في خطابه بالجمعية العلمية الفرنسية في باريس (٦) . اما مقالاته الاخيرة قبيل وفاته في (متاحف العواصم ودور الكتب والمكاتب القروية وفوائدها للبلاد) فبراهين دامغة على غيرته ولا سيما اعتماد الحكومة المصرية على آرائه بشأن آثار توت عنخ امون التي شرع بوصفها وحض الحكومة على حفظها

خدمته للغة العربية

الف معظم كتبه بالعربية واجتهد في الاستشهاد باقوال مؤرخي العرب وتطبيقها على الآثار او مخالفتها اياها . وولع بمعرفة اصول الاشتقاق والمعارضات باللغات السامية والهيروغليفية والقبطية ففتح له ذلك باباً واسعاً في اللغة فاعتقد بادئ ذي بدء ان اللغة العربية اصل للمصرية لما بينهما من الموافقة في كثير من الصور وكتب في ذلك مقالات وجمع آلافاً من الالفاظ ورتبها بمعجم

ولكنه لما عثر على نقوش الدير البحري في طيبة الغربية ازاء الاقصر في زمن الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ — ١٣٨٠ ق م) وهي ارقى الدول المصرية غيّر فكره الاول لأنه قرأ في تلك النقوش ما محصّلهُ :

ان قبائل المصريين القدماء يدعون الأعناء (جمع عنو) ومعناهُ الاخلاط من الناس يكونون من قبائل شتى . فكانوا اشتاتاً اجتمعوا في وادي النيل واسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين الشمس ويقال لها بالمصرية (العين البحرية) . ومنها ارمنت وهي (العين الجنوبية) ومنها دندره وهي قديماً (عين) فلما كثر عددهم وضاقت تلك الانحاء بهم تفرّقوا في الجهات المجاورة لوادي النيل فتوازعتهم البلاد هكذا :

---

(١) راجع المقتطف ١٥ : ٥١٣ (٢) المقتطف ١٧ : ٧٢٢ (٣) المقتطف ١٨ : ٤٦٦
(٤) راجع مجلة الآثار (٣ : ٣٠٦ و ٣ : ٥٤ و ١٠٣ و ١٥٣) (٥) المقتطف ٦٢ : ٦
(٦) راجع جريدة البشير البيروتية بتاريخ ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٣ م

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذهب الفريق الاول منهم وهو المعروف باسم (اعناء الحنوّ او اللوبيين) الى بلاد القيروان وتونس والجزائر فتديّرها . وسار الفريق الثاني المسمّى (اعناء المنتو) الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها ممتداً الى فلسطين . وسكن الفريق الثالث المسمّى (اعناء السيتو) القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل . اما الفريق الرابع المسمّى (باعناء الكنوز) فهو اهل النوبة . فكانت لغة هذا الشتيت لسان البلاد المتكلمة الآن بالعربية . وعلى هذا المبدإ وضع معجمه المطوّل معتقداً أن لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بنص النقوش الاثرية وكتب في ذلك مقالات كثيرة (١)

آثار اقلامه

ترك آثاراً كثيرة فمن مؤلفاته العربية المطبوعة (الكمالات التوفيقية في الاصول الجبرية) و (العقد الثمين في محاسن اخبار وبدائع آثار الاقدمين من المصريين) وهو اول كتاب تاريخي ظهر بالعربية مبنياً على علم العاديات . و (الفرائد الدرية في قواعد اللغة الهيروغليفية) و(اللآلئ الدرية في النبات والاشجار القديمة المصرية) رتبه على حروف المعجم بحسب اللغة البربائية وفي آخره فهرس لاسماء النباتات على حروف الهجاء العربية . و (بغية الطالبين في علوم وعوائد وصنائع واحوال قدماء المصريين) وهو كثير الفوائد في تفصيل معارف المصريين وفنونهم وآدابهم . و(الخلاصة الوجيزة ودليل المتفرج بمتحف الجيزة) . و(ترويح النفس في مدينة عين شمس) . و (المنتخبات الحديثة في علم الحساب) . و (الخلاصة الدرية في آثار متحف الاسكندرية) معرّب . و (دليل دار التحف المصرية الفاخرة لمدينة القاهرة) معرّب ايضاً . و (الحضارة القديمة) وهو مجموع ما القاهُ على طلبة الجامعة المصرية عن تمدن قدماء المصريين الى آخر الاسرة الرابعة عشرة من دُول مصر . و (الدر

(١) راجع المقتطف ٥٩ : ٢٦٣ و ٤٧٢ ومجلة المنار المصري ١٨ : ٢٦٦ فما بعد . وجريدتي المقطم والاهرام قبيل وفاته بقليل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النفيس في مدينة منفيس)

ومؤلفاته باللغة الفرنسية المطبوعة هي : (الدر المكنوز في الخبايا والكنوز) في جزءين اولها عربي والثاني فرنسي ٠٠ (صنائع القبور في العصر اليوناني والروماني) في جزءين ٠ و (الموائد القديمة من الطبقة الوسطى الى عهد الرومان) في جزءين ايضاً ٠ و (رسالة الملابس المصرية) و (رسالة الاشارات الهيروغليفية) و نبذ علمية متعلقة بالحفريات المصرية) نشرت في مجلة المتحف المصري السنوية (١)

ومن مؤلفاته المخطوطة كتابه الكبير المهم فهو (قاموس مقارنة اللغة الهيروغليفية بالعربية) يدخل في اثنين وعشرين مجلداً ضخماً باللغات المصرية القديمة والعربية والفرنسية وقد يعارض الكلمة باللغات الاخرى كالقبطية والحبشية والآرامية والعبرية الخ ٠ وهو من اغرب المؤلفات في وضعه اذ يكتب الكلمة ويبيّن اشتقاقها ثم ما عُرف عنها من الآثار فيوردهُ بنصّه ليعلم منه تاريخها ثم يردف ذلك بالالفاظ العربية التي تناسبها ٠ فهو كتاب لغة وتاريخ وآثار وعلم اشتقاق وفلسفة لغة صرف على وضعه نحو ربع قرن ورتب كل حرف في مجلد واحد واضعاً اولاً الرسوم الهيروغليفية ثم الحروف الصوتية فيها ثم ما يقابلها في العربية ثم كتابة الرسوم والحروف معاً ثم ما يقابل الكلمة باللغة الفرنسية وهو عمل شاق (٢) وبقي من مؤلفاته اوراق مخطوطة كثيرة ورسائل ومقالات وكتب واضابير منها خاضرات اعدها للجامعة المصرية في حضارة عيلام وكلدة وبقية الدول الى ظهور الاسلام ٠ ومنها رسالة في (مدينة منف) ورسالة في (التحنيط والجنازة) عند المصريين ٠ والقواعد النحوية بالالمانية والعربية ٠٠ونبذ علمية اثرية نشرت في مجموعة الاعمال المصرية القديمة والاشورية ومجلة المعهد العلمي المصري ونشرة الجمعية الجغرافية

واما مقالاته فكثيرة لا يأخذها عدّ نشرت في المقتطف والهلال والمنار والعمران

---

(١) راجع (معجم المطبوعات) لصديقي الاستاذ يوسف افندي اليان سركيس الدمشقي نزيل مصر (٢) وكان بيد المحاضر صفحة منه بخط المؤلف ارسلها اليه قبل الحرب لينشرها في مجلة الآثار فعرضها على الانظار فأعجب الحاضرون بها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والآثار ومجلة المجمع العلمي العربي من المجلات وفي المقطم والاهرام واللواء المصري والوطن وغيرها من الجرائد في مواضيع شتى تدور حول اللغة والآثار .

ومحاضراته كثيرة اهمها ما ألقي في الجامعة المصرية ونشر في مجلتها وجمع في كتاب على حدة ومنها ما القي في غيرها مثل محاضرة (تأليه الفراعنة عند المصريين واهتمامهم بالصناعة والادب) القاها في الاسكندرية في ١٢ حزيران سنة ١٩٠٨ نشرتها مجلة العمران المصرية . ومحاضرة (العربية والمصرية القديمة) ألقاها في مدرسة المعلمين الناصرية في القاهرة باوائل سنة ١٩١٤ ونشرها المقتطف (٤٤ : ٢٠٩) وله خطب في كثير من الحفلات

الختام

هذه صورة معنوية لفقيد الشرق ومنها يتحصّل ان الاختصاصيين عندنا لا يزالون عالةً على البلاد باعتقاد كثيرين منا . وكأني برصيفنا المأسوف عليه قد جاء قبل اوانه واتقن عملاً يجهلونه فلم يعبأوا به ولهذا كتب آخر مقالاته بتوقيع (أثري منبوذ) لما لاقى من المعاكسات والمناهضات التي نشأت لاحباط مساعيه الحسان في ترقية الوطن . فكان اثابه الله كثيراً ما يقول لاصدقائه الذين يحثونه على انجاز معجمه : «اني أوشكت ان اتم القاموس واقضي الغرض الذي وضعته نصب عيني» ومما يؤسف له ان بعض الكتّاب من اخواننا المصريين لم ترقهم مشاريعه الوطنية فنشروا مقالات قصدوا بها احباط مساعيه وربما كان ذلك لاغراض نفسية على ان فريقاً آخر منهم اظهروا فضل اعماله آسفين على فقده ومع هذا فانه لم يكافأ حتى الان بنشر سيرته وقد مرّ على وفاته نحو شهرين ونصف . ولا بتثبيت نية وزارة المعارف على طبع معجمه وتجديد مدرسة اللغات ولا بنصب أثر تذكاري تخليداً لاسمه المحبوب . ولا برثائه بقصائد . ولا باقامة حفلات تأبينية له . مع اقامة مثل ذلك لمن هو دونه بمراحل في العلم والفضل

هذا هو الرجل الوحيد في الشرق الذي حذا حذو الغربيين باتقان فنّ حديث ظنوا انهم تفرّدوا به واحتكروا آدابه لاعتقادهم فرأوا منه مجاراة لهم به وتفوّقاً في التنقيب عنه وتقصّياً في مباحثه فأقروا له بالعلم والفضل رحمه الله عداد حسناته واجزل ثوابه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net